الفصل السابع

كيفية حدوث عملية التفكير البصري

ويشتمل على النقاط التالية:

- مقدمة.
- أولاً- طرق التفكير البصري.
- ثانيًا- حدوث التفكير البصري.
- ثالثا- كيفية عمل التفكير البصري.
- رابعًا- ألعاب التفكير البصري.
- خامسًا- أهمية تنمية التفكير البصري.
- سادسًا- أساليب تنمية التفكير البصري.
- سابعًا- متطلبات نجاح التعليم باستخدام التفكير البصري.
- ثامنًا- أهمية التعليم البصري.
- تاسعًا- فوائد التعليم البصري.
- عاشرا- التفكير البصري في التصور الإسلامي.

الفصل السابع

كيفية حدوث عملية التفكير البصري

مقدمـة

أن العصر الذي نعيشه الآن يتسم بالانفجار المعرفي حتى أصبحت الحكمة الصينية التي تقول أن الصورة تساوي ألف كلمة تكتسب أبعاد أوسع وأكثر قمعا لتصبح العبارة "الصورة تساوي مليون كلمة".

وإن حاجتنا الآن إلى التفكير البصري ملحة فهو أداة عظيمة لتبادل الأفكار بسرعة قياسية سواء تم ذلك بصورة فردية أم من خلال تفاعل مجموعات العمل حيث إنه يساعد على تسجيل الأفكار والمعلومات بصورة منظمة بغرض عرض ما يمكن أو معالجته تجاه موضوع أو مشروع ما بصورة واضحة المعالم.

وبالإضافة إلى تميز هذا الأسلوب من التفكير في تنظيم المعلومات المعقدة فإن اختلاط الألوان والصور والأشكال في المشاهد المتتابعة الملتقطة بواسطة العين تعمل على زيادة القدرة على ما يسمى باستحضار المشاهدة وهي ذات فائدة جمة خلال التحصيل الدراسي لاستيعاب المعلومات الجديدة بسرعة وإتقان.

وأن الصورة اليوم أصبحت غرضا أساسيا من أغراض الحياة الإنسانية المعاصرة وبهذا يمكن أن يطلق على حضارة اليوم حضارة الصورة.

أولاً- طرق التفكير البصري

بعد الإطلاع على الدراسات العلمية لكل من:

(Diez mann 1997 & Legcleick 1987)
(Cunninghan 1994) (Klotz 1994)
(Cwileman 1993) (andwaachs 1994)

وجد أنه توجد ثلاث طرق للتفكير البصري وهي كالتالي:

- التفكير من خلال الأجسام من حولنا
- التفكير بالتخيل من خلال قراءة كتاب
- التفكير بالكتابة أو بالرسم

فالبشر غير فاقدي البصر عندهم كثير من المهارات المختلفة التي ترتبط بالأنواع الثلاثة للتفكير البصري، فعلى سبيل المثال قد يكون المصور فعالا في تمثيل رأيه على شكل تخطيطي بينما نجد أن الفنان أكثر قدرة على ترجمة ملخص يتخيله إلى نقاش يحمل المعنى على نحو رمزي تتطلب تلك الأمثلة التفاعل بين أنواع التفكير البصري الثلاثة.

ثانيًا- حدوث التفكير البصري

إن أكثر عمليات التفكير أهمية تأتي مباشرة من إدراكنا البصري للعالم من حولنا حيث أن البصر هو الجهاز الحسي الأول الذي يوفر أساس عملياتنا المعرفية ويكونها.

ويعتمد التفكير البصري على ما تراه العين وما يتم إرساله من شريط من المعلومات المتتابعة الحدوث (المشاهدة) إلى المخ حيث يقوم بترجمتها ثم يبدأ التحفيز لرد الفعل الإنساني المناسب الذي يتراوح بين الإعجاب والصدمة أو الإدراك أو الفهم أو عدم الفهم أو التساؤل أو الاستحسان أو الاستعداد أو الانطلاق...إلخ ثم الدماغ يعمل على تجهيز تلك المعلومات التي وردت إليه من العين بطريقته الخاصة وتخزينها في الذاكرة لمعالجتها فيما بعد علما بأن رد الفعل الإنساني المتوقع كترجمة لما رآه لابد وأن يتأثر بكثير من العوامل الخاصة به شخصيا والأخرى المحيطة به كبيئته الاجتماعية وما نشأ وتعود عليه، أو على

المستوى التعليمي والثقافي والمهني والأخلاقي في حالته الصحية والمعنوية وقوة الأبصار وشدة الإضاءة ...إلخ

فمثلا ردة فعل نظرة الفنان تجاه لوحة ما يمكن أن تكون من أجل التحليل والدراسة وستكون غير ردة فعل المشاهد العادي الذي ربما يشعر بالإعجاب تجاه هذه اللوحة كما أن ردة فعل طبيب التشريح لرؤية الجثة سيكون بمثابة عمل أو واجب أو روتين يؤديه وهي مغايرة تماما لردة فعل المشاهد العادي الذي قد تنتابه الصدمة أو الخوف أو قد يرى في الموت موعظة ما ويعتبر الجانب الأيمن من الدماغ هو المسئول عن الجوانب البصرية في عملية الاتصال لدى المتعلم مثل الأنشطة الإبداعية المختلفة كالرسم والتصوير أما الجانب الأيسر من الدماغ فيكون مسئولا عن الجانب اللفظي.

ولقد ذكرت (أبو مصطفى 2010) أن القدرة البصرية للإنسان تنمو بتسلسل، ففي مرحلة الرضاعة يكون الإدراك البصري غير واضح وغير منظم فالأشياء تبدو غامضة فليس هناك تمييز للأشكال أو للمحيط فالإدراك البصري يكون بدائيا وفي المرحلة المتقدمة من الإدراك البصري يبحث الأطفال عن تصنيفات أخرى للإيماءات البصرية ويصلون إلى مرحلة التكامل في تنظيم التفصيلات المبعثرة لإعطائها وحدة ذات معنى وكلما استمر التعلم البصري استمرت عمليات تسجيل المعلومات بالتعديل.

ونمت أشكال أخرى من الإدراك البصري منها:

1- عملية بناء المعلومات يتم جمع المعلومات بطريقة مناسبة وذلك حسب درجة أهميتها.
2- عملية التمثيل للمعلومات وربطها بالمعلومات السابقة من أجل مقارنتها لتقبلها أو رفضها.
3- الاستجابة التي قد تكون ظاهرة أو غير ظاهرة.

ثالثًا- كيفية عمل التفكير البصري

يعتمد التفكير البصري على الأشكال والرسومات والصور المعروضة في الموقف والعلاقات الحقيقية المتضمنة فيها حيث تقع تلك الأشكال والرسومات والصور بين يدي المتعلم ويحاول أن يجد معنى للمضامين التي أمامه.

وبالتالي فإن مبدأ التفكير البصري بسيط جدا أو تطبيق مكوناته يتم بقوة في وسط دينامي فعال مما يؤدي إلى تفكير أفضل حيث يتم التفكير البصري بمساعدة أدوات تأخذ أشكال هندسية وخططت لجعل التفكير الحالي واضح مقدمة بطرق عرض مرنة تساعدنا للعمل بأفكارنا على نحو خلاق مما ينشط لدينا تصورات جديدة ويحقق أهدافًا محددة من قبل تؤدي لتفكير أفضل من خلال استخدام التخطيطات والمخططات الانسيابية والخطوط الزمنية والصور والأفلام والتصورات.

فمثلا عندما تقود سيارتك على طريق سريع وتفاجأ بإشارة قف ذات الشكل واللون فإنك تتوقف تلقائيا رغم عدم كتاب كلمة توقف على الإشارة وبالتالي حدث نوع من التبصر لديك من خلال رسم.

مثال آخر في اجتماع لعديد من مديري التنفيذ لشركة ما يحاول كل شخص التفكير في حالة تسويقية معقدة منطقيا بعد عدة ساعات من الإحباط يعرض أحد الأشخاص مخططا انسيابيا على لوحة بيضاء وحل عملي فجأة يرتاح الجميع ويسترخون.

رابعًا- ألعاب التفكير البصري

على الرغم من استخدام الألعاب في كثير من حصص الرياضيات إلا أن استخدامها ما زال يختلف من معلم لآخر كما أن طريقة الاستخدام غالبا لا يكون مخططا لها بل عفوية.

والنشاط الغني للألعاب يبعث على التذوق الجمالي وينمي الإحساسات الراقية فالصورة تثير اهتمام الصغير وكذلك بالنسبة للرسم، كما ينبغي على المعلم أن يفرق بين ألعاب التدريس Teaching Games وألعاب التثبيت Maintenance Games إذ أن النوع الأول يراد به مساعدة المتعلمين على تعلم الحقائق والمهارات التي تتضمنها الألعاب بينما النوع الثاني يستعان به عندما يراد تذكير المتعلمين بالحقائق والمهارات للتدريب عليها والتمكن منها.

ويذكر ويلم عبيد 2004 أن هناك ألعابا لتنمية التفكير أو رد فيها مثالا للعبة تنمي التفكير البصري كالآتي:

أمامك مجموعة من الأشكال على اليمين كل هذه الأشكال ما عدا واحدا أو أكثر يمكنها أن تنضم معا لتكوين الشكل الذي في اليسار والمطلوب:

1- حوط حول الحرف الذي لا يستخدمه.

2- ضع الحروف الدالة على الأشكال التي تستخدمها في الشكل الكلي.

خامسًا- أهمية تنمية التفكير البصري

قد أكدت نتائج الدراسات السابقة التي اهتمت بتقديم تصورات برامج ووحدات عملت على تنمية التفكير البصري لمراحل تعليمية مختلفة بدءا من التعليم الابتدائي وحتى التعليم الجامعي.

أن تنمية التفكير البصري قد أسهمت فيما يلي:

- زيادة قدرة الطلاب على إدراك العلاقات بين المفاهيم المتعددة.
- تنمية مهارات التفكير العليا لدى الطلاب.
- زيادة قدرة الطالب على الربط بين العناصر والموضوعات المختلفة.
- زيادة قدرة الطالب على التحليل والمقارنة بين عناصر الموضوعات.
- زيادة التفاعل والنشاط أثناء عملية التعليم.
- زياد التعامل الإيجابي مع المشكلات المطروحة.
- زياد التحصيل.

ومن هنا يتضح أن برامج الكمبيوتر والأساليب والطرائف التدريسية المتنوع والألعاب التعليمية المتضمنة بالأنشطة والمخططات البصرية ومنها شبكات التفكير البصري إنما هي أدوات للمتعلمين تساعدهم على تنظيم واستخلاص وإظهار المعلومات لتظهر الارتباطات الجديدة بتوجيه من المعلم، فيدركون علاقات قائمة ويكتشفون علاقات جديدة فيما يقدم إليهم ومن ثم أصبحت هذه العملية خاصية أو سمة للتخيل والتصور.

سادسًا- أساليب تنمية التفكير البصري

هناك عدد من الأساليب المختلفة لتنمية التفكير البصري وجميعها تعتمد على ممارسة التلميذ لبعض الأنشطة وهذه الأنشطة هي كالتالي:

- أنشطة على الورق.
- أنشطة المكعب.
- أنشطة أعواد الثقاب.
- أنشطة الرسوم البيانية.

وتكون من خلال ممارسة التلاميذ العديد من الأنشطة الخاصة بالرسوم البيانية بمختلف أنواعها يمكن أن يتدربوا على التفكير البصري ويمكنون من قراءتها وإجراء اتصال بصري بالمعلومات المتضمنة لها والاستجابة لما قرأوه بطريقة تحليلية.

ويوضح (إبراهيم 2006) بأنه يمكن تنمية التفكير البصري من خلال:

- الأنشطة البصرية التي يمارسها الطلاب من خلال التدريب على كيفية تصميم شبكات بصرية والتمكن من قراءتها وإجراء مهارة الاتصال البصري المتعلقة بالمعلومات المضمنة بها والاستجابة لما قرأوه بطريقة تحليلية.
- استخدام الأنشطة الكمبيوترية والفنية في تنمية التفكير البصري من خلال الإمكانيات المتاحة في الرسوم التي تظهر بعض الخرائط البصرية التي تعبر عن الكثير من المعاني المتعلقة بمفهوم ما، وعلى المتعلمين فهم هذه الخريطة والاستعانة بمعلوماتها في تصحيح المعلومات لديهم واكتشاف معلومات جديدة.

ويحدد كل من (أحمد وعبد الكريم 2001) بأن طرق تنمية التفكير البصري تكون من خلال:

- تصميم جداول وصور ونماذج.
- رسومات بيانية وخرائط.
- أشرطة فيديو وعمل شرائح وعرضها.

وهناك من يضيف أساليب تنمية التفكير البصري على ما سبق:

- الرسوم التوضيحية.
- المخططات المنظومية.
- الصور الكاريكاتورية.

وبالإضافة إلى هذه الأساليب تضيف (الشوبكي 2010) بعض الأنشطة الأخرى:

1- الرسوم التوضيحية.
2- المخططات المنظومية.
3- الصور الكاريكاتورية.

وهناك بعض الأساليب التي تضيف إلى ما سبق بعض الأنشطة التي قد تنمي التفكير البصري في الجغرافيا مثل:

1- توظيف رسم الخرائط والأشكال.
2- استخدام الصور الفوتوغرافية والجوية للظواهر الجغرافية.
3- تحويل المفردات والكلمات إلى رموز وخطوط.
4- عرض نماذج وعينات من البيئة المحلية.
5- إعداد مخططات البيت الدائري.
6- توظيف الأطالس الجغرافية.
7- القيام بالزيارات الميدانية والرحلات العلمية.
8- عرض مقاطع فيديو لبعض الظواهر الطبيعية والبشرية.
9- استخدام بعض التكتيكات الفنية للرسم مثل التكوين والتظليل عند رسم البيوت الدائرية أو الخرائط.

وبالإضافة أيضا إلى هذه الأساليب لتنمية التفكير البصري توجد أساليب أخرى لتنمية التفكير البصري لدى المتعلمين والتي من أهمها:

- القراءة الناقدة.
- رسم المخططات والتصميمات.

- إعداد السيناريوهات.
- الإبحار عبر مواقع الويب التعليمية والثقافية والاجتماعية وغيرها.
- قراءة الصور التعليمية.
- الربط بين النصوص والأصوات.

سابعًا- متطلبات نجاح التعليم باستخدام التفكير البصري

نجاح أي أمر نقدم عليه مرهون بمدى الأخذ بأسباب النجاح فيه، وفي التعلم باستخدام التفكير البصري لابد من توافر مجموعة من الأسباب والمتطلبات لضمان الحد الأدنى من النجاح المطلوب عوضا عن التميز فيه كحد أقصى:

أ- ما يخص مسئولي التعليم والإدارات التعليمية:

- إجراء الدراسات حول التفكير البصري ومهاراته وآليات استخدامه في مختلف الأبحاث.
- تدريب وتطوير كادر مهني لإنتاج أدوات التفكير البصري بأنواعها.
- تدريب وتأهيل المعلمين لتعريفهم بالتفكير البصري ومهاراته وأدواته.
- تطوير المناهج الدراسية وإعادة إنتاجها لتتناسب مع التفكير البصري.
- العمل على توفير ما يمكن من أدوات وأجهزة التفكير البصري.

ب- ما يخص المعلم

- الزيادة من التنور العلمي حول التفكير البصري ومهاراته وطرق تنميتها.
- الفهم الصحيح لمفهوم التفكير البصري وإدراك أهميته.
- التعرف على مهارات التفكير البصري وما تتضمن من تعريفات.
- الإطلاع والتدريب على أدوات التفكير البصري المختلفة قديما وحديثا.

ما يخص المتعلم

التفكير البصري من منظور البرمجة اللغوية العصبية هو أحد أنماط التفكير التالية:

- بصري.

- سمعي.
- حسـي.

ومعنى التفكير البصري أن الشخص عندما يفكر في أمر فإن المخ يعالج الأمر عن طريقة الصور الذهنية والأشكال بصورة أكبر

يمكن تمييز الشخص الذي يفكر بطريقة بصرية بعدة طرق هي:

1- **الكلمات المستخدمة**: فهو يستخدم ألفاظ وعبارات مرتبطة بالبصر والأشكال والألوان فإذا ما أراد أن يشرح لك أمرا ما سيقول مثلًا أنظر لي وأنظر معي بعكس السمعي الذي سيقول أسمع لي أو اسمع معي.
2- **حركة العينين**: عند التفكير تحديدا تكون عينيه متجهة لأعلى قليلا وكأنه ينظر إلى شيء يقع بالقرب من رأسه.
3- **حركة اليدين**: إذا ما أشار بيده فإنه يشير بها في مستوى مرتفع من الجسم أي بالقرب من الكتفين أو الرأس تقريبا.
4- **نبرة الصوت**: مرتفعة قليلا في حديثه العادي (لا أقصد الحديث المفتعل).
5- **في اتخاذ القرار**: إذا ما اشترى سيارة يهتم أكثر باللون والشكل بعكس الحسي الذي يهتم غالبا براحة المقعد والصيانة

ثامنًا- أهمية التعليم البصري

تكمن أهمية التفكير البصري في أنه يساعد على:

1- زيادة الاهتمام والانتباه والتركيز.
2- زيادة الدافعية لدى التلاميذ نظرا لتوافر عنصر التشويق.
3- توفير وقت وجهد المعلم الذي يبذله في عملية الشرح والتفسير.
4- صدق الانطباعات التي تصل إلى أذهان التلاميذ المعاقين سمعيا مع بقاء أثر التعلم لفترة طويلة نظرًا لارتباطه بخبرة مرئية.

5- تجنب الوقوع في اللفظية وهي استعمال كلمات أو ألفاظ ليس لها دلالة عند الأمم.

6- تساعد الصور على تثبيت المعلومات في الذاكرة لأن المدخل البصري وتخزين المعلومات فيما يُعَرَّف بالذاكرة الفوتوغرافية أكثر رسوخا من أي مدخل.

7- فهم النص المكتوب والأفكار والمفاهيم المجردة.

8- تدريب العين وتنمية قدراتها على الرؤية.

ويرتبط التفكير البصري بالنصف الأيمن للمخ حيث أنه المسؤول عن الإدراك الكلي والقدرة على التجميع والتعلم البصري حيث أن النصف الأيسر من المخ يعتقد أنه المسئول عن إجراءات العمليات التتابعية والتحليلية والعمليات المرتبطة بالوقت.

ويعد التفكير البصري إحدى الوسائل المرنة والعملية للمداخل المتنوعة والمتطورة في طريقة تفكيرنا النشط وهو عملية تستند على التفكير الفعال بدرجة كبيرة وتعتبر طريق سهل لتوسيع إمكانياتها وقدراتنا على التفكير.

كما يعتبر التفكير البصري أحد أشكال مستويات التفكير العليا حيث يمكن المتعلم من الرؤية المستقبلية الشاملة لموضوع الدراسة دون فقد أي جزء من جزئياته بمعنى أن المتعلم ينظر إلى الشيء بمنظار بصري يمكنه إعمال الفكر والذاكرة اللازمين للتسجيل والترتيب والمقارنة بالإضافة إلى عمل حاسة البصر حيث أن عملية التدريب مهمة لحاسة البصر وذلك تنمية القدرة على الرؤية.

تاسعًا- فوائد التعلم البصري

إن التفكير البصري هو الطريقة الطبيعية التي تستخدمها عقولنا لحل المشكلات على نحو ابتكاري إننا نتصور المشكلة ونتائجها المتعددة بعين عقلنا، إن البشر في العهود القديمة كانوا يرسمون الحلول لمشاكلهم على جدران الكهوف.

ويستخدم التفكير البصري طرق تخطيطية للعمل مع الأفكار وتقديم المعلومات وأن البحوث في كل من النظرية التربوية وعلم النفس المعرفي تكشف لنا أن التعلم البصري هو

من بين أفضل الطرق لتعليم الطلاب في كل الأعمار كيف يفكرون وكيف يتعلمون فالتعليم البصري يساعد الطلاب على:

- جعل الأفكار المجردة منظورة وعيانية.
- الاحتفاظ طويل المدى.
- الفهم القرائي.
- ربط المعرفة السابقة بالمفاهيم الجديدة (دمج المعرفة الجديدة) بناء على البحوث التي أجريت في هذا المجال يتذكر الطلاب المعلومات على نحو أفضل عندما يتم تمثيلها وتعلمها بصريا ولفظيا.
- تقديم بناء للتفكير والكتابة والمناقشة والتحليل والتخطيط.
- التركيز على الأفكار والآراء التي تؤدي إلى الفهم والتفسير.
- توضيح الأفكار: يرى الطلاب كيف يتم الربط بين الأفكار ويدركون كيف يمكن أن يتم تصنيف وتنظيم المعلومات.
- التفكير على نحو ناقد: يساعد ربط المعلومات بصريا ولفظيا الطلاب على إقامة الارتباطات وفهم العلاقات وتذكر التفاصيل ذات الصلة بالموضوع.
- ويشير نوفاك Novak إلى أن التدريب على ممارسة التفكير البصري يثير الدافعية لدى المتعلم ويشجعه على توظيف ما تعكسه بطريقة فعالة.

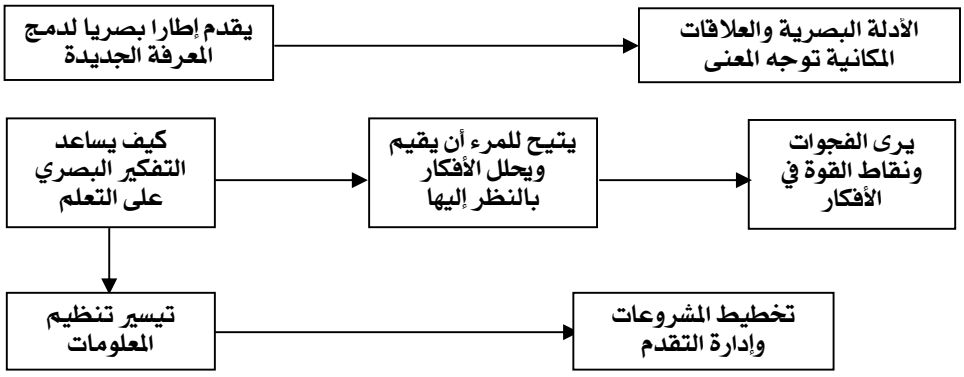

شكل يوضح فوائد التفكير البصري

كما يفيد التعلم البصري المعلمين والمدربين فهو يتيح لهم أن ينظموا ويصوغوا المعلومات بسهولة لفهم السياقات والمهام.

والتعلم الذي يدار بالمداخل البصرية يضيف مستويات للتمييز والتفريد لكل من التعليم والتعلم.

إن المعلومات التي يتم تلقيها بأساليب التعلم البصرية تقلل من الاعتماد على الكتب المدرسية والمحاضرات.

شكل فوائد التعلم البصري للمعلمين

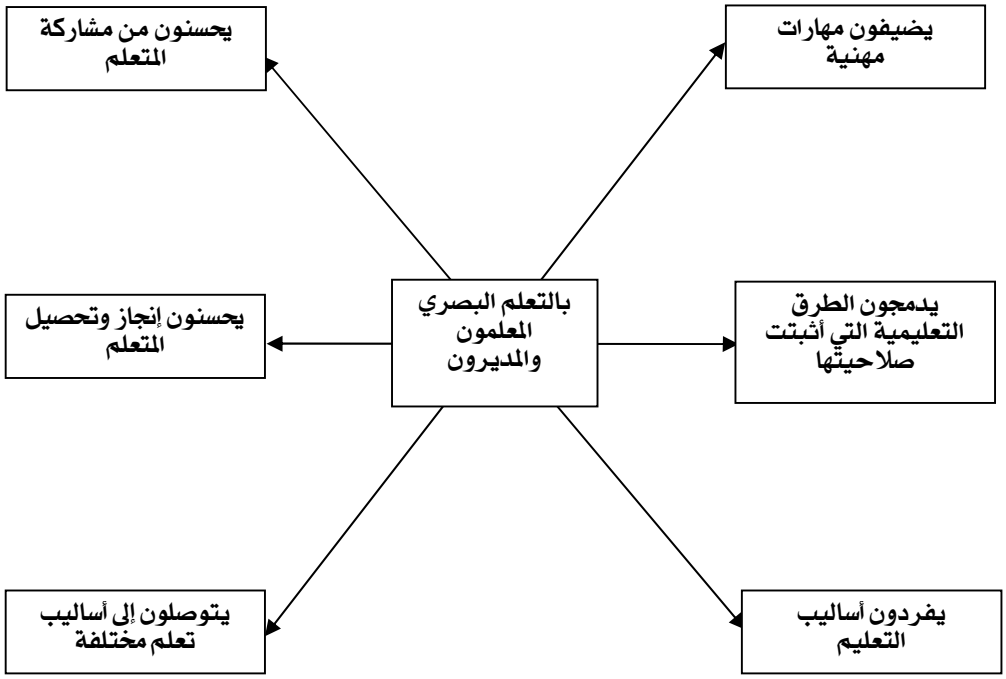

شكل يوضح فوائد التعلم البصري

عاشرا- التفكير البصري في التصور الإسلامي

أ- القرآن الكريم

انطلاقا من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: 101]، ومن قوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: 21].

تتوالى النصوص الشرعية للتأكيد على ضرورة التعقل والتدبر والتفكير وإمعان النظر في ملكوت السماوات والأرض، وهنا دعوة صريحة لإعمال العقل والتفكير في خلق الله تعالى والتوجه إليه بالدعاء والرجاء وإدراك عظمة الخالق المصور وعجز وضعف المخلوق. لقد ذكر التفكير البصري والرؤية البصرية في القرآن الكريم بمواقف عدة وآيات كثيرة، ومن الآيات التي دعت إلى التفكير البصري والرؤية البصرية في القرآن الكريم كثيرة منها ما يلي:

﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: 164].

وهذه الآية الكريمة كلها مشاهد حسية لو أعاد الإنسان تأملها- كما يوحي القرآن لقلب المؤمن - بعين مفتوحة وقلب واع، لارتجف كيانه من عظمة القدرة ووحدانية الخالق وازداد إيمانا بالله تعالى ومدى رحمته تعالى علينا، وهنا دعوة للتفكر بخلق الله تعالى وتقدير الجمال والتناسق والكمال للكون بما فيه، والحياة على الأرض ما هي إلا من صنعه جل جلاله.

﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ

عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: 259 – 260].

وهذه الآيات تتناول موضوعا واحدا وهو سر الحياة والموت وحقيقتهما، وهي تمثل جانبا من جوانب التصور الصحيح لحقائق هذا الوجود في ضمير المسلم وفي إدراكه. ويلقي التعبير القرآني ظلاله وإيحاءاته فيرسم المشهد كأنما هو اللحظة شاخصة تجاه الأبصار والمشاعر لأنها لا تعالج بالبرهان العقلي ولا حتى بالمنطلق الوجداني، ولا يكون العلاج بالتجربة الشخصية المباشرة، فيرى الزمن الطويل أمد قصير.

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المائدة: 31]. وفي ظاهر الآية أنه لم يكن يُعَرَّف كيف يدفن أخاه –إلا لفعل– وضرب له مثل حسي مباشر، وفعل مثلما رأى الغراب يفعل.

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: 74–79].

وتعرض هذه الآيات حقيقة الألوهية وتتجلى أيضا فطرة عبد من عباد الله الصالحين

- إبراهيم عليه السلام - بمشهد رائع حقا للفطرة السليمة، وهي تبحث عن إلهها الحق، بينما تصطدم في الخارج مع انحرافات الجاهلية وتصوراتها، إلى أن يخلص للحق ويقع التطابق بين الإحساس الفطري والتصور العقلي، إنه يجد في قلبه وفطرته وعقله ووعيه وفي الوجود، إنه يجده خالقا لكل ما تراه العيون ويحسه الحس، وتدركه العقول.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: 46].

تدعو هذه الآية للتفكر بأحوال الأقوام السابقة وما حدث لها من دمار وهلاك وكيف أصبحت مهجورة ومعطلة وخاوية على عروشها، فإنهم يرون ولا يدركون، ويسمعون ولا يعتبرون، ولو كانت هذه القلوب مبصرة لجاشت بالذكرى والعبر وجنحت إلى الإيمان بالله خوفا من العاقبة المتمثلة في أحوال الغابرين.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۚ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: 63-65].

تستعرض هذه الآيات قدرة الله تعالى في مشاهد الكون البصرية المعروضة للناس، والتفكير في كيفية حدوث مشاهد هذا الكون، من نزول الماء من السماء، ورؤية الأرض المخضرة، وسخر لهم الأرض وما فيها، وخلق النواميس التي تسمح بجريان الفلك بالبحر، وهو الذي خلق الكون بنجومه وكواكبه مرفوعة متباعد لا تسقط ولا تصطدم مع بعضها البعض، فبنزول الماء إلى الأرض تنشأ فيها الحياة، ويوفر فيها الغذاء، فالإنسان يهتدي بهذه النواميس وسخرها الله تعالى لمصلحته والانتفاع بها، والله المالك لما في السماء والأرض وغني عما في السماء والأرض.

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية: 17-20]. كما دعا القرآن الكريم

إلى النظر والتدبر في آيات الكون الفسيح (السماء والأرض والجبال والنبات وفي النفس البشرية".

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [العنكبوت: 19].

كما تشير الآية الكريمة إلى مظاهر خلق الله تعالى في الكون وكيفية بدء الخلق، حيث أنهم يرونه في النبتة النامية وفي البيضة والجنين وفي كل ما لم يكن ثم يكون.

إنشاء الخلق بأعينهم، وليس في خلق الله شيء عسير عليه تعالى، ويدعوهم إلى السير في الأرض وتتبع صنع الله وآياته في الخلق والكون، والدعوة للرؤية والتفكر وإعمال العقل والتدبر في خلق الله تعالى والربط بين المشاهد الحسية البصرية مع العقل البشري.

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الذاريات: 20]. تدعو هذه الآية الكريمة الإنسان إلى التبصر في خلق الله تعالى، وهي لفتة إلى آيات الله في الأرض وفي الأنفس، وهذه العجائب لا يحصرها كتاب، فالمعلوم المكشوف يحتاج لمجلدات لتفصيله، والمجهول أكثر بكثير، ولكن ليمض لحظاته في ملاحظ وتدبر وتأمل وتفكر في هذا الكون وفي تأمل هذا الخلق الكامن في ذات نفسه وهو غافل مشغول عنها.

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية: 17-20].

تعرض الآية الكريمة مشاهد بصرية للبيئة العربية وتدعو للتفكير بها وتتضمن (السماء والأرض والجبال والجمال وخاص الأبل والحيوان)، وفوائدها في الحياة واقتصرت الآية على الإبل لما لها من أهمية بحياة العرب قديما وهي بين أيديهم. كما يوجههم نحو خلق السماء وهم سكان الصحراء، ثم يذكر مظهر آخر من مظاهر البيئة العربية وهي الجبال ثم الأرض وهي مسطوحة أمام النظر وممهدة للحياة والسير والعمل، وبمجرد النظر الواعي والتدبر العميق تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى في خلقه وحسن إبداعه في الكون.

وبنظرة شاملة للآيات القرآنية نجدها تدعو إلى التفكير البصري وإلى التأمل والتبصر والتفكر والتدبر في خلق الله تعالى وإلى إمعان البصر في جميع الجوانب المختلفة في الظواهر الطبيعية والاجتماعية وفي النفس البشرية، وأخذ العبرة من الأمم السابقة الغابرة، مما يبين أن الإسلام قائم على عدة ركائز وأن التفكير أحد ركائز هذا الدين ومنهجيته.

بـ ومن الأحاديث الشريفة:

- عن جابر ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي" . يعرض الحديث صورة حسية توضح كيفية حرص رسول الله على إنقاذ أمته من النار.

- عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت" . وهنا استخدم النبي مثلا من البيئة وفيها تفكير بصري محسوس وهو يشير إلى سرعة نسيان القرآن فيحرص على متابعة حفظه باستمرار.

- عن جابر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات"، وهو مثل حسي بصري يهدف إلى تحقيق صورة ذهنية لدور وأهمية الصلوات الخمس في تطهير المسلم من الذنوب والخطايا.

- عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر وقال: "إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"، واستخدم النبي وسيلة مألوفة مرئية لجميع البشر في مختلف الأزمنة والأماكن، وأن على المسلم أن يتيقن أنه سيرى الله تعالى في الجنة.

- عن سهيل بن سعد ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" وأشار بالسبابة والوسطى ....."، وهذا المثل الحسي يستخدم فيه النبي وسيلة مرئية وهي أصابعه تعبيرا عن قرب مكانة كافل اليتيم منه في الجنة.

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي... ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال: هي النخلة"، يلاحظ في هذا الحديث مثل حسي وهي من بيئة المسلم وهدفها التعرف على خصائص المسلم.